مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٨ع٦ ص ص: ١– ٣٨ (٢٠٢٠م)
DOI:10.4197/Art.28-6.1

أجزاء النبوة دراسة عقدية

شريفة بنت مصلح السنيدي

أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مستخلص. الجزء في اللغة: بعض الشيء، والنصيب منه. والنبوة في اللغة: الإعلام، والإنباء، والعلو والارتفاع. وفي الشرع: النبي هو الذي ينبأ بخبر السماء، ثم هو ينبئ بما أخبر به، ولا يكون ذلك إلا لرفيع الشأن، فانتظم فيها كلا المعنيين اللغويين. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن: الرؤيا الصادقة أو الصالحة من أجزاء النبوة، وكذلك بعض الأخلاق والصفات منها: " التؤدة، والسمت الحسن، والهدي الصالح، والاقتصاد" وفسر العلماء المقصود بكون الرؤيا الصالحة والصفات الأخرى من أجزاء النبوة بعدة أقوال منها:

– أن هذه الصفات والأخلاق هي من شمائل الأنبياء وخصالهم.

– أن هذه الصفات مما دعت إليه الأنبياء.

– أن الرؤيا من أنواع الإخبار بالغيب.

واجتهد العلماء في تفسير معنى الأعداد الواردة في أجزاء النبوة، والتفسير الأرجح والأقرب للصواب أن تلك الاجتهادات هي من باب الظن، ولا سبيل لمعرفة المعنى الحقيقي لهذه الأعداد، خصوصًا مع اختلاف الأعداد في روايات كلها صحيحة لا يتأتى الأخذ ببعضها دون بعض.

وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا جزء من النبوة فالمقصود به العناية بشأن الرؤيا و علو منزلتها، ولكن لا يترتب على ذلك حكم شرعي، ولا يدل على أنها مصدر من مصادر التشريع. والرؤيا التي تكون جزء من أجزاء النبوة شرطها أن تكون رؤيا صالحة من مسلم صالح.

أما السمت الحسن، والهدي الصالح اللذان هما من أجزاء النبوة، فقد جمعا كمال الظاهر والباطن. والتؤدة: هي عدم العجلة، وهذا الخلق مما اتصف به جميع الأنبياء، والاقتصاد الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أجزاء النبوة، معناه: التوسط بين الإفراط والتفريط في الأقوال والأعمال عامة، ويدل بالخصوص على الاقتصاد في المعيشة وأن ذلك من خلق الأنبياء.

المقدمة

فإن أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض منذ أن خلق الخليقة هي نعمة النبوة، إذ هي الواسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك وعبيده، فهي نعمة مهداة من الله – تبارك وتعالى–، وفضل إلهيّ تفضّل بها عليهم، قال شيخ الإسلام: "والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح

العالم، ونوره، وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات"(١).

هذا في حقّ المرسَل إليهم. أما في حقّ المرسَلين، فهي اصطفاء من الربّ لهم من بين سائر الخلق، وهبة ربانيّة يختص الله بها من يشاء، والنبوة لا تنال بعلم ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة أو عبادة، وإنّما هي محض فضل إلهيّ، واصطفاء ربانيّ، : ﴿ خَلَقْنَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٥)، ولما قدر الله جل جلاله أن تختم النبوات بمحمد ﷺ أبقى لهذه الأمة ما يعوضهم به عن انقطاع الوحي، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ، قَالَ: فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: لَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: رُؤْيَا الْمُسْلِمِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ"(٢).

وكذا منّ عليهم الرحمن بما كشف لنبيه من الغيب بإخبارهم ببعض أجزاء النبوة التي هي من خصال الأنبياء، ليبقى هذا المعنى قائما فيمن أكرمه الله بالاهتداء بهديهم لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا جَعَلْنَهَا تَذْكِرَةً وَمَتَعًا خَلَقْنَكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٠)، "فوصفهم بالهدى بعد أن وصف دينهم بأنه هدى الله، تأكيداً ومبالغة في تصديقهم، وتحريضاً على الاقتداء بهم؛ ..والاقتداء: موافقة المقتدى به في أفعاله، وأقواله"(٣).

ولأن الله عزوجل أبقى من أجزاء النبوة ما يعوض به الناس من إنفطاع الوحي، أردت جمع الأحاديث التي بيّن الصادق المصدوق فيها أجزاء النبوة، وتحرير المقصود بالأجزاء من كلام السلف، ثم بيان تلك الخصال لما فيها من مزيد فضل وشرف.

وقد جعلته بعنوان: " أجزاء النبوة– دراسة عقدية".

وتظهر أهمية هذا الموضوع من خلال الآتي:

١- بيان المعنى الصحيح لمصطلح "أجزاء النبوة"، والتفريق بين النبوة، وأجزائها وصفاتها.

٢- حاجة الناس إلى معرفة أجزاء النبوة، فما أخبر بها الصادق المصدوق إلا لما تميزت به عن غيرها من الخصال، ولابد من تعظيم ماعظمه الشرع، وخصه بمزيد عناية.

٣- لما عصفت بالمسلمين لوثات المادية، وابتعدوا عن منهج الأنبياء، وخصال الأصفياء التي أمروا أن يقتدوا بهم، أحاطت بهم الأنكاد، وأوغلوا بالدنيا بغير رفق فتخطفتهم الشهوات وأصابهم شقاء الحرص على الدنيا، فجاء هذا البحث ليبين ما بقي من أجزاء النبوة لمن أراد النجاة.

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي(٤/ ١٠٣)، برقم (٢٢٧٢) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والحاكم ٣٩١/٤. وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في الإرواء (٨/ ١٢٨): وهو كما قالا.

(٣) حسن التنبه (١٣٦/١).

٤- وقوع بعض الناس بين إفراط وتفريط في أمر الرؤيا، إما بالغلو فيها كما تفعل الصوفية فتجعلها من مصادر التلقي، أو بالإفراط بإهمالها وعدم العناية بها مخالفين سنة المصطفى من العناية والاهتمام بالرؤى.

هدف البحث

جمع الأحاديث الصحيحة التي ذكرت فيها أجزاء النبوة، وبيان معنى أجزاء النبوة، ومناقشة الأقوال الواردة فيها.

خطة البحث

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهدف البحث ،وخطته، ومنهجه .

التمهيد : وفيه بيان معنى الأجزاء، ومعنى النبوة.

المبحث الأول : الأحاديث الواردة في أجزاء النبوة، وبيان معناها.

المطلب الأول : الأحاديث الواردة في ذكر أجزاء النبوة.

المطلب الثاني : بيان معنى أجزاء النبوة.

المبحث الثاني : الخصال التي ذُكرت في أجزاء النبوة.

المطلب الأول: الرؤيا الصالحة. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة.

المسألة الثانية: بعض المسائل العقدية المتعلقة بالرؤيا.

المطلب الثاني: السمت الحسن.

المطلب الثالث : الهدي الصالح.

المطلب الرابع : التؤدة.

المطلب الخامس: الاقتصاد.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث .

الفهارس.

منهج البحث

اتبعت المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، والمنهج التحليلي في العرض والبيان والمناقشة، متبعة في ذلك الآتي:

*اقتصرت على جمع الأحاديث الصحيحة، ولم أتطرق للأحاديث التي لم تثبت صحتها، واكتفيت برواية واحدة فقط، ذلك لأن هدف البحث هو بيان معنى أجزاء النبوة، وبيان معنى هذه الخصال.

*جمعت جل أقوال شراح الحديث، وبينت موافقتها للمعنى الصحيح الذي يدل عليه ظاهر الأحاديث، وناقشتها نقاشا عقديا مبنيا على منهج أهل السنة، وأصولهم في هذا الباب.

*اتبعت المنهج العلمي المعتمد في البحث والتوثيق، وذلك عند عزو الآيات، أو تخريج الأحاديث، أو توثيق النصوص.

التمهيد

تعريف أجزاء النبوة:

الجزءُ: الجُزْء والجَزْءُ: البعْضُ، وَالْجَمْعُ أَجْزاء. والجُزْءُ، فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: النَّصِيبُ(١). قَالَ تَعَالَى:﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ ثر

(١) لسان العرب لابن منظور (٤٥/١) . وانظر: العين للخليل بن أحمد (١٦٤/٦) .

نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ (الزخرف: ١٥) ، أَي: نَصِيبا(١).

النبوة: من مادة (نبأ) النبأ – محركة -: الخبر، والجمع أنباء(٢). قال الراغب: "النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل {نبأ} حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقًا"(٣). قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ (النبأ : ١-٢) أي: الخبر العظيم(٤).

وكذلك النبيُّ: وهو من نبَّأت: أَي أَخْبرت لأنه أنبأ عَن الله وأُنبئ وهو أَيْضا تَخْفيف بدلي(٥). قَالَ الفَراء: النبيء، هُوَ من أنبأ عَن الله، فتُرك هَمزُه(٦) .

وقال بعضهم بأن اشتقاق النبي من النَّبْوة. وأصلها (نَبَوَ)النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره أو تنحٍ عنه(٧).

قال ابن تيمية : "والتحقيق: أنّ هذا المعنى داخلٌ في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله مُنْبِئَاً عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليّاً، وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدل على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي"(٨).

المبحث الأول :الأحاديث الواردة في أجزاء النبوة، وبيان معناها.

المطلب الأول : الأحاديث الواردة في ذكر أجزاء النبوة :

الحديث الأول: عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ ق َ ال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :"لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ"(٩) .

الحديث الثاني: عن أَبي الزُّبَيْرِ، قال: "أَخْبَرَنِي جَابِرٌ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنَ النُّبُوَّةِ"(١٠).

الحديث الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :"الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"(١١) .

---

(١) تفسير السمعاني (٥،٩٤).

(٢) لسان العرب (١٦٣/١).

(٣) تاج العروس للزبيدي (٤٤٩/١).

(٤) تفسير الطبري (٢٤،١٤٩).

(٥) المخصص لابن سيده المرسي (٣٠٠/٤) معجم الفروق اللغوية للعسكري (٥٩،١).

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (١٩٤/١٥).

(٧) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨٥،٥) تهذيب اللغة (١٩٤/١٥) .

(٨) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٨٢) .

(٩) صحيح البخاري ،كتاب التعبير ،باب المبشرات (٨٩/١٢) برقم: (٧١٦٩)، ورواه مالك في "الموطأ"، (٨٩/١٢) برقم: (٧١٦٩)، عن زفر بن صعصعة بن مالك، عن أبيه، عن أبي هريرة.

(١٠) أخرجه أحمد في "مسنده" عن جابر بن عبد الله ﷺ(٣٨/٢٣)، تفرد بهذا اللفظ. وقال محققوا المسند: "صحيح لغيره".

(١١) متفق عليه، رواه البخاري في "صحيحه " كتاب التعبير ،باب رؤيا الصالحين (٣٠/٩) برقم (٦٩٨٣)، ورواه أيضًا في كتاب التعبير ،باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ،(٣٠/٩) برقم: (٦٩٨٧) ،وبرقم (٦٩٨٨) مثله ، وبرقم : (٦٩٨٩) ،وفي باب من رأى النبي ﷺفي المنام (٣٣/٩) برقم: (٦٩٩٤) ،وفي باب القيد في المنام ،(٣٧/٩)برقم: (٧٠١٧).وفي (١٧٧٤/٤) برقم : (٢٢٦٣) ،وبرقم : (٢٢٦٤) وغيرهما.

الحديث الرابع : عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"(١) .

الحديث الخامس: عن أبي هريرةﷺ، عن النبي ﷺقال: " إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"(٢).

الحديث السادس: عن أبي رزين العقيلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعِينَ جُزْءًا أَوْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ»(٣).

الحديث السابع : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ الْمُزَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"(٤) .

الحديث الثامن: عن ابن عباس، عن نبي الله ﷺقال زهير: لا شك فيه – قال: " إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالاقْتِصَادَ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ "(٥).

الحديث التاسع : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال النبي ﷺ: " إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ بِضْعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ "(٦).

المطلب الثاني: بيان معنى أجزاء النبوة:

سبق بيان معنى الجزء، ومعنى النبوة، وأما المقصود بـ "أجزاء النبوة " فاختلف في المراد فيها على عدة

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الرؤيا (١٧٧٥/٤)برقم: (٢٢٦٥)، وابن ماجه في "سننه" كتاب تعبير الرؤيا ،باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له (١٢٨٣/٢) برقم: (٣٨٩٧) ،والنسائي في "السنن الكبرى" كتاب التعبير،باب الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح (١٠٥/٧) برقم: (٧٥٧٩) ، وأحمد في مسنده عن ابن عمر (١١٨/٩) برقم: (٥١٠٣) جميعهم عن نافع عن ابن عمر .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الرؤيا، باب(١٧٧٣/٤) برقم: (٢٢٦٣) ،وأحمد في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه (٣٤٧/١٦) برقم : (١٠٥٩٠) ،وأبو داوود في "سننه "كتاب الأدب،باب ماجاء في الرؤيا ،(٣٠٤/٤)برقم: (٥٠٩١)، والترمذي في "سننه" أبواب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، (٥٣٢/٤)برقم: (٢٢٧٠) ،والدارمي في "سننه" ،كتاب الرؤيا ،باب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثًا (١٣٦٢/٢) برقم : ٢١٩٠) ورواه غيرهم .

(٣)رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٤/١٩) برقم: (٤٦١-٤٦٢) عن أبي هريرة ،وأحمد في "مسنده" عن أبي رزين العقيلي (١٢٠/٢٦) برقم: (١٦٢٠٥) ،والترمذي في "سننه"أبواب الرؤيا ،باب ما جاء في تعبير الرؤيا (٥٣٦/٤) برقم: (٢٢٧٨)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الترمذي(٢٨٧/٥).

(٤) رواه الترمذي في سننه ،أبواب البر والصلة ،باب ما جاء في التأني والعجلة ،(٣٦٦/٤) برقم: (٢٠١٠) ، وحسنه. والطبراني ولفظ الطبراني "الهدي الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد، والتؤدة"، ولفظ ابن عدي "الهدي الحسن، والسمت الحسن، والاقتصاد، جزء من كذا وكذا جزءا من النبوة" . وحسنه الألباني في "صحيح وضعيف سنن الترمذي" (٥/ ١٠).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤٣٢/٤) برقم : (٢٦٩٨) ، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" باب الهدي والسمت الحسن (٢٧٦/١) برقم : (٧٩١) ،وأبو داوود في "سننه" كتاب الأدب ،باب في الوقار(٢٤٧/٤) برقم: (٤٧٧٦) كلاهما عن ابن عباس بمثله . قال أحمد شاكر: "إسناده صحيح، مسند أحمد ت شاكر (٣/ ٢٠٥).

(٦)رواه البيهقي في "شعب الإيمان" (١١/١١) برقم: (٨٠٦٠) ورواه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير، وقال: "السمت الصالح"، وقال: "من خمسة وعشرين"، قال العراقي في "تخريج أحاديث إحياء علوم الدين" (٤/ ١٩٠٣): " قلت: حديث عبد الله بن سرجس المزني: أخرجه الترمذي، في "البر" بلفظ: "السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوّة"، قال الصدر المناوي: "رجاله موثوقون"، ورواه عبد بن حميد وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والخطيب والضياء بلفظ: "التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوّة".

أقوال، بعض هذه الأقوال يصدق على " أجزاء النبوة مجتمعة "، وبعضها يختص بكون الرؤيا من أجزاء النبوة، وهو الأكثر والأشهر، وذلك لأن أحاديث الرؤيا مخرّجة في الصحيحين، ولأن الرؤيا فيها من الخبر عن الغيب ما تشرك به النبوة في أخص صفاتها، وسأذكر هنا المعنى العام، أما ما يتعلق بكون الرؤيا على وجه الخصوص من أجزاء النبوة فسأذكره في محله(١):

قال المناوي: "أي: هذه من أخلاق الأنبياء، ومما لا يتم أمر النبوة بدونها"(٢). وقال الطيبي :" أي: من أخلاق أهل النبوة"(٣) . وقال الخطابي: "يريد أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء صلوات الله عليهم، ومن الخصال المعدودة من خصالهم، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها، وليس معنى الحديث أن النبوة تتجزأ، ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب، وإنما هي كرامة من الله سبحانه وخصوصية لمن أراد إكرامه بها من عباده، والله يعلم حيث يجعل رسالاته، وقد انقطعت النبوة بموت محمد ﷺ"(٤). ثم ذكر معنىً آخر، وهو: "أن هذه الخصال مما جاءت به النبوة ودعت إليه، فقال: " وفيه وجه آخر وهو أن يكون معنى النبوة ههنا ما جاءت به النبوة ودعت إليه الأنبياء صلوات الله عليهم ".

قال: "وقد يحتمل وجهاً آخر وهو أن من اجتمعت له هذه الخلال لقيه الناس بالتعظيم والتوقير وألبسه الله لباس التقوى الذي يلبسه أنبياؤه فكأنها جزء من النبوة والله أعلم"(٥).

وقال القرطبي: " إن النبوة معناها: أن يطلع الله من يشاء من خلقه على ما يشاء من أحكامه ووحيه:... لكن هذا المعنى المسمى بالنبوة لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف، والعلوم، والفضائل، والآداب، ونزهه عن نقائص ذلك. .. فلما كانت النبوة لا يخص الله بها إلا من حصلت له خصال الكمال أطلق على تلك الخصال: نبوة، كما قال . ﷺ: "التؤدة والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من النبوة" ، أي: من خصال الأنبياء، لكن الأنبياء في هذه الخصال متفاضلون، .. فتفاضلهم بحسب ما وهب لكل واحد منهم من تلك الصفات، ..فمن ناسبهم في الصدق حصل من رؤياه على الحق، .. وكان كذلك أتباعهم من الصادقين، وكان أقل خصال كمال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستا وعشرين جزءا، وأكثر ما يكون من ذلك سبعين، وبين العددين مراتب مختلفة بحسب ما اختلفت ألفاظ تلك الأحاديث"(٦).

---

(١) يراجع: ص (١٥) من هذا البحث .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٤٥٩/١.

(٣) شرح المشكاة للطيبي "الكاشف عن حقائق السنن"(٢٩٩٩/٩).

(٤) معالم السنن ١٠٧/٤، وذكره القاضي عياض في شرح الشفا (١/ ٢٢٩).وابن مفلح الآداب الشرعية (٤١٨/١).

(٥) معالم السنن (١٠٧/٤).

(٦) المفهم (١٧/٦) ، وانظر: فتح الباري لابن حجر ٣٦٨/١٢ ، وطرح التثريب في شرح التقريب ٢١١/٨.

وقيل: "ليس مقصودًا به نصُّ العدد وعدَّة الأجزاء؛ لأنَّ ذلك لا قبل لأحد بعلم تجزئته، فيكون اسم العدد مستعملاً في معنى الكثرة، أي: هذه الثلاثة الخلال جزء من أجزاء عظيمة من النبوءة، وأما تحقيق كون تلك الخصال من خصال النبوءة فذلك حاصل له باستقراء شمائل رسول الله ﷺوإن كان ابن عبَّاس قاله عن سماع من رسول الله ﷺ فالمعنى أنَّ للنبوءة خصالًا عظيمة، ومناقب جليلة هي أمَّهات الفضائل وهي خمس وعشرون منها هذه الثلاثة، فيكون اسم العدد مرادًا منه نصُّه؛ لما أطلع الله عليه رسوله ﷺ من هذه التجزئة على الإجمال"(١) .

وقد استشكل بعض الشراح كون هذه الخصال – وخاصة الرؤيا– من أجزاء النبوة، مما قد يشعر بأن النبوة باقية، أو أنها مكتسبة، أو أن من جمع هذه الخصال فقد جمع النبوة، لذا حملها بعضهم على المجاز(٢)، قال العراقي: "لا يتخيل من هذا الحديث أن رؤيا الصالح جزء من أجزاء النبوة، فإن الرؤيا إنما هي من أجزاء النبوة في حق الأنبياء – عليهم السلام – وليست في حق غيرهم من أجزاء النبوة ولا يمكن أن يحصل لغير الأنبياء جزء من النبوة، وإنما المعنى: أن الرؤيا الواقعة للصالح تشبه الرؤيا الواقعة للأنبياء التي هي في حقهم جزء من أجزاء النبوة، فأطلق أنها من أجزاء النبوة على طريق التشبيه، قال الخطابي: وإنما كانت من أجزاء النبوة في الأنبياء – صلوات الله عليهم – دون غيرهم لأن الأنبياء – صلوات الله عليهم – يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة"(٣) .

وقال ابن حجر: " قد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموت النبي –ﷺ– فقيل في الجواب: إن وقعت الرؤيا من النبي ﷺفهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة، وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز"(٤).

وقد أجاب شيخ الإسلام على هذا الإشكال، وبيّن معنى كون هذه الخصال هي من أجزاء النبوة على الحقيقة، في معرض رده على الفلاسفة، فقال : " والذي يقرون به من النبوة يحصل وما هو أعلى منه لآحاد الناس الذين فيهم فضيلة علمية وعملية، لكن أهل العلم والإيمان بالرسل يعلمون أن نسبتهم إلى الأنبياء من جنس نسبة أهل الرؤيا الصادقة إلى الأنبياء، فإن الرؤيا الصادقة "جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة" كما ثبت ذلك في الصحاح عن ﷺ، وكما في السنن عنه، أنه قال: "الهدى الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة"، وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من

---

(١) كشف المغطى من المعاني و الألفاظ الواقعة في الموطأ، لابن عاشور ٣٧٥/١ .

(٢) فيض القدير للمناوي ٤٨/٤، شرح الزرقاني على الموطأ ٥٥٦/٤ .

(٣) طرح التثريب (٢١٤/٨) .

(٤) فتح الباري (٣٦٣/١٢) .

الإيمان"(١) فلا ريب أن الشيء يكون جزءا من النبوة أو الإيمان ويكون من أصغر الشعب والأجزاء؛ كإماطة الأذى في الإيمان، أو كالرؤيا في النبوة، ولهذا قال ﷺ: "إنه لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له"(٢)؛ ولهذا كان هذا الجزء أول ما بدئ به رسول الله ﷺتدريجًا له ..، وإذا كان بعض أجزاء النبوة يحصل لآحاد المؤمنين وليس هو نبيا تبين أن ما يذكره هؤلاء من الحق هو جزء من أجزاء النبوة، وما يذكرونه من الباطل هو مردود عليهم"(٣).

فشبه هذا المعنى بما ذكره ﷺ من أن الإيمان شعب، فكذا النبوة أجزاء، وهي وإن كانت على الحقيقة فلا يلزم من إثبات ذلك ما ألزم به بعض الشراح من كونه يدل على أن النبوة باقية، أو أنها كسبية مما اضطرهم لحمله على المجاز، قال الطيبي : " وأرى الذاهبين إلى التأويلات التي ذكرناها قد هالهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة. وقد قال ﷺ: "ذهبت النبوة" ولا حرج على أحد في الأخذ بظاهر هذا القول؛ فإن جزءا من النبوة لا يكون نبوة، كما أن جزءا من الصلاة على الانفراد لا يكون صلاة. وكذلك عمل من أعمال الحج، وشعبة من شعب الإيمان"(٤).

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: أمور الإيمان (١١/١) ، ومسلم، باب شعب الإيمان(٦٣/١) .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب التعبير ،باب المبشرات ،(٣١/٩)برقم : (٦٩٩٠).

(٣) الصفدية لابن تيمية ٢٣٦/١.

(٤) شرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٩٩).

والأصل الذي تبنى عليه المسألة، هو الاختلاف في حقيقة النبوة: " قال طائفة من الناس: إنّها صفة في النبي. وقال طائفة: ليست صفة ثبوتية في النبي، بل هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به؛ يقول الرب: إني أرسلتك، فهي عندهم صفة إضافية كما يقولونه في الأحكام الشرعية إنها صفات إضافية للأفعال لا صفات حقيقية. والصحيح: أن النبوة تجمع هذا وهذا؛ فهي تتضمن صفة ثبوتية في النبي، وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به"(٥).

قال شيخ الإسلام :" وقد تنازع الناس في النبوة: هل هي مجرد إنباء الله لعبده، أو هي راجعة إلى صفات كمال فيه؟ كما تنازعوا في النبوة: هل هي مجرَّد تعلق خطاب الشارع، أو هي راجعة إلى صفات يتميز بها، ولا بد من خطاب إلهي أو إنباء؟ ولهذا كانت النبوة أجزاءً، كما قال النبي ﷺ: "الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جُزءًا من النبوة"، رواه أهل السنن، فهذا في العمل. وقال في العلم: "الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. وقال: ثلاث من أخلاق المرسلين"(٦).

فجمع بين الأحاديث التي أخبرت أن "الرؤيا" من أجزاء النبوة، وبيّن أن هذا متعلق بالعلم، والأحاديث

(٥) النبوات لابن تيمية (٢/ ٩٨٦).

(٦) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه (٤٥١/١).

الأخرى التي خصت بعض الصفات أنها من أجزاء النبوة وبيّن أنها متعلقة بالعمل .

حيث إن من يصطفيه الله للنبوة يكون عنده من قرائن الأحوال من صفات الصدق، وحسن الخلق ما يستدل به على صدقه، ومن الصفات الحميدة التي يشترك بها الأنبياء: هذه الصفات المذكورة لذا أخبر ﷺ أنها من أجزاء النبوة.

كما بين –رحمه الله– أن من آيات الأنبياء ما يشترك فيه جميعهم كالإخبار بالغيب، فقال: "فقد ظهر أنّ من آيات الأنبياء ما يختصّ به النبيّ، ومنها ما يأتي به عددٌ من الأنبياء، ومنها ما يشترك فيه الأنبياء كلّهم ويختصّون به؛ وهو الإخبار عن الله بغيبه الذي لا يعلمه إلا الله، فَلَوْلَا ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ خَلَقْنَٰكُمْ (الجن:٢٦) "(١).

ومن أنواع الإخبار بالغيب الرؤيا الصادقة، وهي أول ما يبدأ به الأنبياء، وهي أول مراتب الوحي. فعن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود قال: "إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد في اليقظة"(٢) ، وبوّب البخاري رحمه الله في صحيحه "كتاب بدء الوحي"، ثم ذكر الباب الأول: باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقول الله عز وجل ذكره: فَلَوْلَا إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴿٥٢﴾خَلَقْنَٰكُمْ (النساء: ١٦٣).

قال ابن حجر: "ومناسبة الآية للترجمة واضح من أن صفة الوحي إلى نبينا ﷺ توافق صفة الوحي إلى من تقدمه من النبيين"(٣). وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها : "في أول ما بدئ به النبي ﷺ من الوحي حيث كانت الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" .

وهي الجزء الذي أبقى الله أصله في هذه الأمة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "لم يبق بعدي من النبوّة إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له"(٤).

قال ابن تيمية : "والنبي ﷺ بدئ أولًا بالرؤيا الصادقة فانه رؤيا الأنبياء وحي معصوم ،كما قال ابن عباس وعبيد بن عمير وغيرهما: "رؤيا الأنبياء وحي" وقرأ قول إبراهيم عليه السلام:فَلَوْلَا ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ خَلَقْنَٰكُمْ (الصافات: ١٠٢). ثم أن النبي ﷺ نقل من درجة إلى درجة ثم بعد هذا جاءه الملك فخاطبه بالكلام فأحيانا يأتيه في الباطن فيكلمه، وأحيانا يتمثل له في صورة رجل فيكلمه، ثم عرج به إلى ربه ليلة الإسراء. فما ادعوه من أن الرؤيا قد يحصل بها معرفة المغيبات حق وهذا يحتج به على

(١) النبوات ٨٢٠/٢ .
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣٨٨/١ ، وصححه الألباني في صحيح السيرة (ص:٨٧) .
(٣) فتح الباري ٩/١ .
(٤) سبق تخريجه، ص(٧).

من ينكر هذا الجنس مطلقا، ولكن لا تجعل النبوة كلها من هذا الجنس"(١).

وكذلك الصفات الواردة أنها أجزاء النبوة فهي مما يشترك به جميع الأنبياء –والله أعلم– وهذا معنى كونها من أجزاء النبوة.

أما من نفى حقيقة الأجزاء، فقد اعتقد أن النبوة شيئا واحدًا، وظن أنه لو أثبت حصول الجزء لبعض الناس لأثبت الكل، وهذا الخطأ شبيه بخطأهم في مسمى الإيمان، وإنكارهم لزيادة الإيمان ونقصانه لاعتقادهم أنه شيء واحد إذا ذهب بعضه ذهب كله والعكس صحيح فلو ثبت بعضه ثبت كله؛ لذا رد عليهم شيخ الإسلام ببيان أن بقاء أو زوال بعض أجزاء الحقيقة المركبة من أمور –شعب أو أجزاء– لا يلزم منه بقاء أو زوال الأصل، فقال: " وأصل الشبهة في الإيمان أن القائلين: أنه لا يتبعض قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة كالعشرة المركبة من آحاد، فلو قلنا: إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها. فيقال لهم: إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة هو المجموع الواجب الكامل، وهذه الهيئة الاجتماعية تزول بزوال بعض الأجزاء، وهذه هي المنفية في الكتاب والسنة في مثل قوله: "لا يزني الزاني" إلخ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ﴾ الآيات، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء؛ ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الإيمان بعد زوال بعضه"(٢).

وقال –رحمه الله– مقرًا لكرامات الأولياء، وما يشركون به الأنبياء من الخوارق في الكلمات الكونية، كأن يقدر على مالا يقدر عليه غيره، أو الكلمات الشرعية، كأن يعلم مالا يعلمه غيره ، وبين أنه يكون له بذلك جزء ونصيب من النبوة، وليس معنى ذلك أنه نبي، فقال: " وإما رجل قذف الله في قلبه من نوره وهدايته الخاصة ما أشهده شيئا من الخصوصيات التي هي أعيان تلك الأسماء والصفات فيعلم ذلك لا بمجرد القياس ولا بمجرد الوجد بل بشهود على(٣) مطابق لما أخبرت به الرسل، وتدله على صحة شهوده موافقته لما أنبأت به الرسل، ويحصل له نصيب من النبوة، فإن النبوة انقطعت بكمالها وإما وجود بعض أجزائها فلم ينقطع. ولا بد أن يكون في بعض الأمور محجوبا عن أن يشهد ما شهده النبي فيصدقه فيه؛ لشهوده بعض ما أخبر به النبي، ويبقى ما شهده محققا عنده لثبوت ما لم يشهده وهذه حال الصديقين مع الأنبياء"(٤).

وقال الشاطبي : "إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة؛ فليست إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه،

---

(١) الرد على المنطقيين (ص:٤٨٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٧٦) .

(٣) لعلها : علمي .

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٦٨) .

والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة"(١).

وقال عبد الحق البخاري: " المراد أن الرؤيا الصالحة من لواحق النبوة وصفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا شك أن صفات الأنبياء باقية بعدهم ويتصف بها من سواهم من الصالحين، والمقصود مدح الرؤيا وإعلاء درجتها وأنها من عالم الوحي ومشابهة له، وإن لم يكن صاحبها نبيًّا؛ كما جاء في الحديث: "السمت الحسن والتُّؤَدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة"، بل جميع صفات الكمال أصله ومنبعه النبوة، والتخصيص لمزيد الاختصاص والامتياز، ولا شك أنها موجودة في غير الأنبياء لأن الولاية ظل النبوة"(٢).

وعليه: فإن هذه الأحاديث التي بينت أن هذه الخصال من أجزاء النبوة، هي حق على حقيقتها، أما خصوص الأعداد والنسب فقد اجتهد العلماء في تفسير معناها، كما فعل ابن بطال حيث قال : "إن المراد بهذا الحديث أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة، كما جاء في الحديث الآخر: «التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة»، أي: النبوة مجموعة خصال تبلغ أجزاؤها ستة وعشرين، هذه الثلاثة أشياء جزء واحد منها، وعلى مقتضى هذه التجزئة كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أشياء في نفسه، فإذا ضربنا ثلاثة في ستة وعشرين صح لنا أن عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون، ويصح أن نسمي كل اثنين من الثمانية والسبعين جزءا خصلة فيكون جميعها بهذا الاعتبار تسعة وثلاثين، ويصح أن تسمى كل أربعة منها جزءا فيكون مجموع أجزائها بهذا الاعتبار تسعة عشر جزءا ونصف جزء، فتختلف أسماء العدد المجزئ بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء.

وعلى هذا لا يكون اختلاف أعداد أجزاء النبوة في أحاديث الرؤيا المذكورة اضطرابا وإنما هو اختلاف اعتبار مقادير تلك الأجزاء المذكورة"(٣)، ولا يخفى مافي هذا التوجيه من التكلف .

وللقاضي عياض توجيه حسن في الجمع، حيث يقول: "وقد قيل: إن المراد بها أنها خصلة من خصال النبوة، وخصلة من خصائصها، كما قال في الحديث الآخر: " القصد والتؤدة وحسن السمت جزء من خمسة وعشرين من النبوة " ، وقد جاء هذا الحديث بألفاظ مختلفة وزيادات، واختلاف فى الأجزاء. فيحتمل أن حصر هذه الخصال إلى هذا العدد المذكور مراده، ويحتمل أنه مرة يأتي بها على إجمال النوع الواحد منها، كما جعل القصد، والتؤدة، وحسن السمت، في هذا الحديث جزءاً، فيكون أقسامها على عددها على هذا الترتيب، فإذا فصلت آحاد أنواعها انقسمت على أكثر من ذلك وبلغت

(١) الاعتصام ٩٤/٢ .
(٢) لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٥٦١).
(٣) طرح التثريب في شرح التقريب لعبدالرحيم العراقي ٢١٠/٨.

الخمسين والسبعين، بحسب الالتفات إلى آحادها، وليس في حديث منها أنه ليس للنبوة خصال وخصائص سوى أحد هذه الأعداد حتى يحمل على التخالف والتناقض، وإنما أخبر أن هذا الشيء واحد من عدد خصائصها، وترك تمام العدد، وإحصاء ذلك مرة ومرة قصد تمام عدده وإحصائه – والله أعلم"(١).

وبالجملة فكل ما قيل في بيان معنى تفاوت أعداد أجزاء النبوة إنما هو من باب الظن والتخمين، وأما بالتحقيق فلا، ذلك لأن النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره، وأجزاء النبوة لا يعلمها من البشر إلا الأنبياء، فالأولى أن نؤمن بما ورد، ونعتقد بأنه حق، ولا نظن بما جرى على لسان رسول الله ﷺ من تقديرات لأجزاء النبوة بأنه جزاف، بل لا يتكلم ﷺإلا بالحق، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والقدر الذي أراد النبي ﷺ أن يبينه هو تحقيق أمر الرؤيا، وأنها جزء من النبوة في الجملة فيما يتعلق بالعلم، وكذا التنبيه على عظم شأن هذه الخصال وأنها جزء من النبوة فيما يتعلق بالعمل، ولقريب من هذا أشار الخطابي، فقال : " ونقول: إن هذا الخبر صحيح وجُملة ما فيه حقٌّ وليس كل ما يخفى علينا علَّته لا تلزمنا حجُّته، وقد نرى أعداد ركعات الصلوات وأيام الصيام، ورَمْيَ الجمار محصورة في حسابٍ معلوم وليس يُمكننا أن نصل من علمها إلى أمر يُوجب حصرها تحت هذه الأعداد دون ما هو أكثر منها أو أقل، فلم يكن ذهابنا عن معرفة ذلك قادحًا في موجب الاعتقاد منا في اللازم من أمرها. وهذا كقوله ﷺفي حديث آخر: "إن الهدى الصالح، والسَّمت الصالح، جزءٌ من خمسة عشر جزءًا(٢) من النبوة" وتفصيل هذا العدد وحصر النبوة به متعذِّر لا يمكن الوقوف عليه، وإنما فيه هاتين الخصلتين من هدي الأنبياء وشمائلهم وأخلاقهم، فكذلك الأمر في الرؤيا أنه جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة. ومعنى الحديث تحقيق الرؤيا، وأنها مما كان الأنبياء يُثْبتُونه ويُحققونه، وأنها كانت جزءًا من أجزاء العلم الذي كان يأتيهم ، والأنباء التي كانت ينزل بها الوحي عليهم، والله أعلم"(٣). واختاره غيره(٤).

وقال ابن مفلح : "تخصيص هذا العدد مما يستأثر النبي – ﷺ– بمعرفته"(٥).

وقال الطيبي: "وأما وجه تحديد الأجزاء بستة وأربعين: فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه ويتلقى بالتسليم؛ فإن ذلك من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض له بالقياس، وذلك مثل ما قال في حديث عبد الله بن سرجس في السمت الحسن

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢١٤).

(٢) هكذا في الأصل. ولم أجد رواية من الروايات في بيان عدد أجزاء النبوة أنها "خمسة عشر"، فلعل المقصود: "خمسة وعشرون".

(٣) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٤/ ٢٣١٨).

(٤) انظر "اعلام الحديث" ٤: ٢٣١٨، و"معالم السنن" ٤: ١٣٨ - ١٣٩، و"التمهيد" ١: ٢٨٥، و"شرح الترمذي" لابن العربي ٩: ٢٥، و"المفهم" ٦: ١٤، وغيرهم. ابن الملقن في التوضيح (١٢٣/٣٢).

(٥) الآداب الشرعية، لابن مفلح (٤١٨/١).

والتؤدة والاقتصاد: "أنها جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة". وقلما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء ولئن قيض له الإصابة في بعضها لما يشهد له الأحاديث المستخرج منها، لم يسلم له ذلك في البقية "(١).

فهذا هو الحق، ويشهد لهذا المعنى الحديث الذي رواه البخاري أن أبا هريرةﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»(٢). وكذلك حديث أم كرز الكعبية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ، وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ»(٣).

ويبقى أمر آخر، يدخل في الغيب الذي اختص الله بعلمه، ولم يظهر لنا منه إلا ما شاء منه، **وهو السؤال عن بقية هذه الأجزاء ماهي؟**

قال القاضي عياض: " فلا يبقى على هذا إلا أن يقال: بينوا هذه الأجزاء. ولا يلزم العلماء أن تعرف كل شيء جملة وتفصيلاً، وقد جعل الله – سبحانه – للعلماء حداً تقف عنده، فمنها ما لا تعلمه أصلاً، ومنها ما تعلمه جملة ولا تعلمه تفصيلاً وهذا منه، ومنها ما تعلمه جملة وتفصيلاً، لا سيما ما طريقه السمع، ولا مدخل للعقل فيه، فإنما يعرف منه قدر ما عرف به السمع "(٤).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: " أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبي، وإنما القدر الذي أراده النبي ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة لأن فيها اطلاعًا على الغيب من وجه ما وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة"(٥).

وفي قولهﷺ: "الرؤيا جزء"، قال السندي: "أي: لها مناسبة بالنبوة حيث يظهر بها المغيبات، وأما معرفة أجزاء النبوة بالتفصيل، فلا سبيل إليها إلا بإعلام الله تعالى، فلا ينبغي الاشتغال به"(٦).

وقد فهم العلماء من هذه الأحاديث تعظيم شأن هذه الخصال، وأن لها مزية عن غيرها، قال ابن بطال: " كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة مما يستعظم ولو كانت جزءا من ألف جزء"(٧).

وقال القاضي عياض في سياق شرح أحاديث الرؤيا: "وبالجملة في هذا كله صحة أمر الرؤيا وتعظيم شأنها وعلمها، وأنها جزء من النبوة، وخاصية من خصائصها، وكانت حقيقة من أجزاء النبوة لما فيها

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٩/ ٢٩٩٩).

(٢) صحيح البخاري ،كتاب التعبير ،باب المبشرات ،(٣١/٩)برقم : (٦٩٩٠).

(٣) رواه أحمد في المسند، مسند الأنصار (١١٥،٤٥)برقم : (٢٧١٤١)، وابن ماجة في سننه،كتاب تعبير الرؤيا ، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له (١٢٨٢/٢) برقم: (٣٨٩٦) ، وابن حبان في صحيحه،كتاب الرؤيا ، ذكر البيان بأن الرؤيا المبشرة تبقى في هذه الأمة عند انقطاع النبوة (٤١١/١٣) برقم: (٦٠٤٧) وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٩/٨).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢١٢) . وانظر: فتح الباري ٣٦٣/١٢ .

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب ٢١٤/٨ .

(٦) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٤٤٨/٢ .

(٧) فتح الباري ٣٦٣/١٢ .

من الإعلام الذي هو معنى النبوة على أحد الوجهين"(١).

المبحث الثاني : الخصال التي ذكرت في أحاديث أجزاء النبوة .

المطلب الأول: الرؤيا الصالحة،وفيه مسائل :

المسألة الأولى:معنى كون الرؤيا جزءا من أجزاء النبوة :

تعريف الرؤيا : جاء في لسان العرب : "والرؤيا: ما رأيته في منامك"(٢). والمنامات أنواع، بينها النبي – ﷺفقال: « إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»(٣). قال ابن عبد البر رحمه الله: "وجملة القول في هذا الباب أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه، ما يزيد المؤمن إلى إيمانه. ولا أعلم بين أهل الدين والحق، من أهل الرأي والأثر خلافًا فيما وصفت ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد، وشرذمة من المعتزلة"(٤) .

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٢١٥/٧.

(٢) لسان العرب (١٤/ ٢٩٧).

(٣) رواه ابن ماجه في "سننه" كتاب تعبير الرؤيا، ،باب الرؤيا ثلاث ، (١٢٨٥/٢) برقم: (٣٩٠٧) / والطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٤/٧) برقم : ٦٧٤٢ وغيرهما .وصححه الألباني في "الصحيحة " (٤٨٧/٤) رقم : (١٨٧٠) .

(٤) التمهيد لابن عبدالبر (٢٨٥/١).

وقد تعددت الروايات في بيان أن الرؤيا من أجزاء النبوة، حتى بلغت حد التواتر(٥)، واختلفت في تحديد عدد الأجزاء فأدرجه بعض العلماء مع مشكل الحديث كما فعل الطحاوي(٦)، قال ابن حجر: "فحصلنا من هذه الروايات على عشرة أوجه أقلها جزء من ستة وعشرين وأكثرها من ستة وسبعين وبين ذلك أربعين، وأربعة وأربعين، وخمسة وأربعين، وستة وأربعين، وسبعة وأربعين، وتسعة وأربعين، وخمسين، وسبعين» أصحها مطلقا الأول، يعني ستة وأربعين، ويليه السبعين"(٧).

واختلف موقف العلماء في توجيه هذا الاختلاف، وقد ذكر ذلك القرطبي في المفهم، فقال: "اختلفت الرواية فيه .. وأكثرها في الصحيحين، وكلها مشهور فلا سبيل إلى أخذ أحدها، وطرح الباقي، كما قد فعل أبو عبد الله المازري، فإنه قد يكون بعض ما ترك أولى مما قبل إذا بحثنا عن رجال أسانيدها، وربما ترجح عند غيره غير ما اختاره هو، فإذا: الوجه الذي يتعين المصير إليه أن يقال: إن هذه الأحاديث – وإن اختلفت ألفاظها – متفقة على أن الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من أجزاء النبوة. فهذه شهادة صحيحة من النبي ﷺ لها بأنها وحي من الله تعالى،

(٥) ذكر ذلك السيوطي في قطف الأزهار المتناثرة (ص٣٧٦)، والزرقاني في شرح الزرقاني(٤٥٠/٤)، والمناوي في فيض القدير(٤٨/٤).

(٦) شرح مشكل الآثار (٤١٣/٥)، وأورده ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين(٧٦/٢).

(٧)فتح الباري ٣٦٣/١٢ .

وأنها صادقة لا كذب فيها...وإذا كانت هكذا فتعين على الرائي أن يعتني بها، ويسعى في تفهمها، ومعرفة تأويلها، فإنها إما مبشرة له بخير، أو محذرة له من شر، فإن أدرك تأويلها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وهو اللبيب الحبيب. ولذلك كان النبي ﷺيقول إذا أصبح: "هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا فليقصها، أعبرها له؟ "فكانوا يقصون عليه، ويعبر. وقد سلك أصحابه ذلك المسلك في حياته، وبعد وفاته، وقد كان ﷺيقتبس الأحكام من منامات أصحابه، كما فعل في رؤيا الأذان، وفي رؤيا ليلة القدر. وكل ذلك بناء على أنها وحي صحيح. وإذا تقرر هذا فلا يضرنا الاضطراب الذي وقع في عدد تلك الأجزاء مع حصول المقصود من الخير، غير أن علماءنا قد راموا إزالة ذلك الاضطراب، وتأولوه تأويلات، فلنذكرها، وننبه على الأقرب منها"(١). وكذلك فعل العراقي في "طرح التثريب" حيث جمع أقوال العلماء ورتبها وأجاب على ما يحتمل منها، وابن حجر في "فتح الباري" وغيرهم من شراح الأحاديث على تفاوت بينهم بالإجمال والتفصيل،

ويمكن إجمال هذه الأقوال كالتالي:

الوجه الأول: قال الطبري: " فأما قوله "من سبعين جزءاً من النبوة" فإن ذلك قول عام في كل رؤيا صالحة صادقة لكل مسلم رآها في منامه على أي أحواله كان، وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة والنخعي: إن الرؤيا جزء من سبعين جزءاً من النبوة.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١٤/٦) .

وأما قوله "إنها جزء من أربعين" أو "ستة وأربعين" فإنه يريد بذلك ما كان صاحبها بالحال التي ذكر عن الصديق – رضي الله عنه – أنه يكون بها. ..: "لأن يرى الرجل المسلم يسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إليّ من كذا وكذا". فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السبرات، والصبر في الله على المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فرؤياه الصالحة – إن شاء الله – جزء من أربعين جزءاً من النبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين الجزء من الأربعين إلى السبعين، لا ينتقص عن سبعين ولا يزاد على أربعين"(٢)، وقال ابن عبد البر: "ليس ذلك عندي باختلاف تضاد وتدافع لأنه يحتمل أن يكون على حسب ما يكون الذي يراها من صدق الحديث وأداء الأمانة والدين المتين وحسن اليقين فمن خلصت له نية في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب كما أن الأنبياء يتفاضلون"(٣).

الوجه الثاني: قال الطحاوي: فإن "قال هذا القائل: وهذا اضطراب شديد، مرة يروون أنها جزء من سبعين جزءا .. فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن جميع ما رويناه من الآثار في هذا محتمل ما لا تضاد فيه ، وهو أن الرؤيا جزء

(٢) انظر: طرح التثريب (٢٠٧/٨) ، ورجحه ابن العربي فقال : " وأحسنها قول الطبري عالم القرآن والسنة "، والقرطبي، فقال: فهذا التأويل يجمع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وطرحه.

(٣) التمهيد ٢٨٣/١ .

من أجزاء من النبوة جعلت بشارات .. فاحتمل أن يكون الله عز وجل كان جعلها في البدء جزءا من سبعين جزءا من النبوة، فيكون ما يعطى من رآها أو رئيت له بها ذلك الجزء من النبوة فضلا منه عليه، وعطية منه إياه، ثم زاده بعد ذلك أن يجعل ما يعطيه بها جزءا من خمسين جزءا من النبوة ، ثم زاده بعد ذلك أن جعل ما يعطيه بها جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة"(١).

الوجه الثالث: قال القاضي عياض: "يحتمل أن تكون هذه التجزئة في طرق الوحي إذ منه ما سمع من الله تعالى دون واسطة .. ومنه بواسطة الملك .. فتكون تلك الحالات إذا عددت غايتها انتهت إلى سبعين"(٢). وتعقبه القرطبي فقال: " لا يخفى ما في هذا الوجه من البعد والتساهل فإن تلك الأعداد كلها إنما هي أجزاء النبوة وأكثر هذه الأحوال التي ذكرت هنا ليست من النبوة في شيء ككونه يعرف الملك أو لا يعرفه .. ثم مع هذا التكلف العظيم لم يقدر أن يبلغ عدد ما ذكر إلى ثلاثين انتهى"(٣).

الوجه الرابع– وهو خاص برواية البخاري: قال الخطابي : "كان بعض أهل العلم يقول في تأويل قوله «جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة» قولا لا يكاد يتحقق من طريق البرهان، قال إنه – عليه الصلاة والسلام – بقي منذ أول ما بدئ بالوحي إلى أن توفي ثلاثا وعشرين سنة منها بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين وكان يوحى إليه في منامه في أول الأمر بمكة ستة أشهر وهي نصف سنة فصارت هذه المدة جزءا من ستة وأربعين جزءا من أجزاء زمان النبوة. قال الخطابي: "وهذا، وإن كان وجها قد يحتمله قسمة الحساب والعدد فإن أول ما يجب فيه أن يثبت ما قاله من ذلك خبرًا ورواية، ولم نسمع فيه خبرًا ولا ذكر قائل في هذه المقالة فيما بلغني عنه في ذلك أثرًا فكأنه ظن وحسبان الظن لا يغني من الحق شيئًا ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة على ما ذهب إليه من هذه القسمة لقد كان يجب أن يلحق بها سائر الأوقات التي كان يوحى إليه في منامه في تضاعيف أيام حياته وأن تلتقط فتلفق ويزاد في أصل الحساب وإذا صرنا إلى هذا بطلت هذه القسمة"(٤). قال ابن القيم: "وهذا حسن، لولا ما جاء في الرواية الأخرى الصحيحة " «إنها جزء من سبعين جزءا» "(٥) وتعقبه غيره(٦).

الوجه الخامس– قال المازري: "ويحتمل عندي أن يراد بالحديث وجه آخر، وهو أن ثمرة المنامات الخبر بالغيب لا أكثر، وإن كان يتبع ذلك إنذارات وبشرى، والإخبار بالغيب أحد ثمرات النبوة وأحد فوائدها، .. وهذا الجزء من النبوة –وهو الإخبار

---

(١) شرح مشكل الآثار (٥/ ٤١٩)، وانظر: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: ١١٣٨) .
(٢) إكمال المعلم (٧/٢١٤).
(٣) المفهم (٦/١٦) .
(٤) أعلام الحديث (٤/٢٣١٥) .
(٥) مدارج السالكين (١/٧٤) .
(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٤٤٦) .

بالغيب- لا يكون إلا صدقا، والرؤيا ربما دلت على شيء ولا يقع إما لكونها من الشيطان أو من حديث النفس أو من غلط العابر في العبارة إلى غير ذلك من الضُّروب الكثيرة التي توجب عدم الثقة بدلالة المنام .. فتقدر النسبة في هذا بقدر ما قدره الشرع بهذا العدد على حسب ما أطلعه الله عليه، ولأنه يعلم من حقائق نبوته ما لا نعلمه نحن "(١).

الوجه السادس-. قال ابن بطال : " إن لفظ النبوة مأخوذ من النبأ والإنباء، وهو الإعلام في اللغة والمعنى أن الرؤيا إنباء صادق من الله، لا كذب فيه كما أن معنى النبوة الإنباء الصادق من الله الذى لا يجوز عليه الكذب فتشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر عن الغيب.

فإن قيل: فما معنى اختلاف الأجزاء في ذلك في القلة والكثرة؟ قيل: وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين لا ثالث لهما، وهو أن يرى الرجل رؤيا جلية ظاهرة التأويل مثل من رأى أنه يعطى شيئًا في المنام فيعطى مثله بعينه في اليقظة، وهذا الضرب من الرؤيا لا إغراق في تأويلها ولا رمز في تعبيرها، والقسم الثاني ما يراه من المنامات المرموزة البعيدة المرام في التأويل وهذا الضرب يعسر تأويله إلا الحذاق بالتعبير لبعد ضرب المثل فيه، فيمكن أن يكون هذا القسم من السبعين جزءًا كانت الرؤيا أقرب إلى النبأ الصادق، وآمن من وقوع الغلط في تأويلها، وإذا كثرت الأجزاء بعدت بمقدار ذلك وخفى تأويلها، والله أعلم بما أراد نبيه ﷺ. وقد عرضت هذا القول على جماعة من أصحابي ممن وثقت بدينة وفهمه فحسنوه. وزادني فيه بعضهم مرة، وقال لي: الدليل على صحته أن النبوة على مثل هذه الصفة تلقاها نبينا عليه السلام من جبريل بالوحى فيكلمه بكلام فيعيه بغير مؤنة ولا مشقة، ومرة يلقى إليه جملًا وجوامع يشتد عليه فكها وتبيينها، حتى تأخذه الرحضاء ويتحدر منه العرق مثل الجمان في اليوم الشديد البرد، ثم يعينه الله على تبيين ما ألقى إليه من الوحي، فلما كان تلقيه عليه السلام للنبوة المعصومة بهذه الصفة كان تلقى المؤمن من عند الملك الآتي بها من أم الكتاب بهذه الصفة، والله أعلم"(٢).

الوجه السابع- قال العراقي: "لا يمكن إلغاء النسبة بعد ذكر النبي ﷺ لها، وغايته أن لا يصل علمنا إلى حقيقة ذلك فنؤمن به ونكل علمه إلى عالمه، وقد قال المازري: لا يلزم العلماء أن تعرف كل شيء جملة وتفصيلا، وقد جعل الله للعلماء حدا تقف عنده فمنها ما لا نعلمه أصلا ومنها ما نعلمه جملة لا تفصيلا وهذا منه والله أعلم(٣). وقال السيوطيّ - رَحِمَهُ اللهُ - في "شرحه": "هذا عندي من الأحاديث المتشابهة التي نؤمن بها، ونكل معناها المراد إلى قائله ﷺ، ولا نخوض في تعيين هذا الجزء من هذا العدد، ولا في حكمته"(٤).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٠٤) .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٥).

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٠).

(٤) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج(٥/٢٨٤).

ومن مجمل هذه الأقوال، وبالنظر إلى سياق بعض الروايات التي ذكر فيها الحديث كقوله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة. -وما كان من النبوة فإنه لا يكذب-..الحديث"(١). وكقوله: " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات..."، يتبين أن المقصود بكون الرؤيا من أجزاء النبوة : ما قاله ابن العربي رحمه الله: "القدر الذي أراده النبي ﷺ أن يبين أن الرؤيا جزء من النبوة في الجملة لنا، لأنه اطلاع على الغيب، وتفصيل النسبة يختص به درجة النبوة انتهى"(٢). وذلك قوله: "لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات".

وقال القاضي عياض: "وبالجملة في هذا كله صحة أمر الرؤيا وتعظيم شأنها وعلمها، وأنها جزءٌ من النبوة، وخاصية من خصائصها، وكانت حقيقة من أجزاء النبوة لما فيها من الإعلام الذى هو معنى النبوة على أحد الوجهين. وقد قال كثير من العلماء: إن للرؤيا ملكًا وكل بها يُري الرائي من ذلك ما فيه تنبيه على ما يكون له، أو يقدر عليه من خير أو شر، وهذا من معنى النبوة"(٣).

وفي حديث الطفيل بن سخبرة رضي الله عنه : " قال: " رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله...فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده"(٤).

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: " أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي"، وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: " وفيه معنى قوله ﷺ: "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". قلت: وإن كانت رؤيا منام فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي أمرا ونهيًا. والله أعلم"(٥).

وصدقها بحسب صدق الرائي، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثًا، وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي ﷺ، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها، فيتعوض المؤمنون بالرؤيا، وأما في زمن قوة نور النبوة ففي ظهور نورها وقوته ما يغني عن الرؤيا. قال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام، وقد قال النبي ﷺ: «لم

(١) صحيح البخاري (٩/ ٣٧)، وقال ابن حجر أن قوله: " وماكان من النبوة فإنه لا يكذب" مدرجة من قول ابن سيرين.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٤).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢١٥).

(٤) رواه أحمد في" مسنده"(٢٩٦/٣٤) برقم: (٢٠٦٩٤). وقال محققوا المسند: "حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه، فلم يرو له غير ابن ماجه"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٦٥/١).

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص: ٤٢٢). ولا يثبت بالرؤيا حكم إلا بإثبات رسول الله ﷺ أما من غيره فلا يثبت بها حكم أصلاً، وهذا باتفاق العلماء، كما سيأتي بيانه.

يبق من النبوة إلا المبشرات، قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له»(١) .

المسألة الثانية: بعض المسائل العقدية المتعلقة بالرؤيا:

لما أخبر ﷺ أن الرؤيا جزء من النبوة استنبط العلماء عدة مسائل عقدية تبنى على هذا الخبر، منها:

١- الاهتمام بشأن الرؤيا وتعظيمها وهذا من أظهر دلالات الحديث، قال ابن بطال: " يجب أن نعلم ما معنى كون الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة، فلو كانت جزءًا من ألف جزء منها لكان ذلك كثيرًا"(٢). ولما كانت الرؤيا من أجزاء النبوة، فهي كرامة يكرم بها الله من شاء من عباده، لذا جعلها بعض العلماء مرتبة من مراتب الهداية : قال ابن القيم : "المرتبة العاشرة من مراتب الهداية: الرؤيا الصادقة.. التي من الله خاصة.(٣)

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه: "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" في شرح هذا الحديث: "كان ﷺ يعتني بالرؤيا لأنها من أقسام الوحي، وكان إذا صلى الصبح كثيرًا ما يقول: «هل رأى أحد منكم رؤيا»"(٤) .

٢- لما كانت الرؤيا من الغيب الذي يكشفه الله لمن يشاء من عباده، فإن رؤيا المسلمين إذا تواطأت لم تكذب، وقد قال النبي ﷺلأصحابه لما أُروا ليلة القدر في العشر الأواخر، قال «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان منكم متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان»(٥).

٣- الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، ولم يذكر أنها جزء من الرسالة، لذا فلا يعتمد عليها في إثبات حكم، .. ويترتب على ذلك أنه لو أخبر صادق عن النبي – ﷺ– في النوم بحكم شرعي مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده، .. وحكى القاضي عياض الإجماع على عدم اعتماد المنام في ذلك(٦).

٤- جواز تعلّم تعبير الرؤيا : قال ابن القيم عن عبارة الرؤيا : " إن العبد إذا نفذ فيها، وكمل اطلاعه جاء بالعجائب. .. وإنما هي معرفة ما غاب عن غيره بأسباب انفرد هو بعلمها، وخفيت على غيره، والشارع صلوات الله عليه حرم من تعاطي ذلك ما مضرته راجحة على منفعته، أو ما لا منفعة فيه، أو ما يخشى على صاحبه أن يجره إلى الشرك، وحرم بذل المال في ذلك، وحرم أخذه به؛ صيانة للأمة عما يفسد عليها الإيمان أو يخدشه، بخلاف علم عبارة الرؤيا، فإنه حق لا باطل؛ لأن الرؤيا مستندة إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ ولهذا

---

(١) مدارج السالكين (٧٤/١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥١٧/٩).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٣).

(٤) ص (٥٢٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل(٣٨٨/١، رقم ١١٠٥). وانظر: مدارج السالكين (٧٥/١).

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٠).

كلما كان الرائي أصدق كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبر أصدق، وأبر وأعلم كان تعبيره أصح"(١).

وعلى هذا فرق العلماء بين الرؤيا والإلهام، قال العراقي: " فإن قلت: قد شارك المنام في الإخبار عن الغيب الإلقاء في الروع، وهو من أقسام الوحي في حق الأنبياء ويقع مثله لمن شاء الله من الأولياء ..فما وجه الحصر في المنام في قوله ﷺ:«لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة» .. (قلت): المنام يرجع إلى قواعد مقررة، وله تأويلات معروفة، ويقع لآحاد المسلمين، بخلاف الإلقاء في الروع لا يكون إلا للخواص ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بينه وبين لمة الشيطان"(٢).

وينبني على هذه المسألة مسألة أخرى وهي أن الخطأ في تعبير الرؤيا لا يغيرها عن وجهها، وأن الرائي عليه أن يتحرى العالم الناصح إن أراد تأويل رؤياه، قال الكرماني: "لا تغير الرؤيا عن وجهها التي رئيت له عبارة عابر ولا غيره، وكيف يستطيع مخلوق أن يغير ما جاءت نسخته من أم الكتاب، ... قال ابن قتيبة: وليس ينبغي أن يسأل صاحب الرؤيا عن رؤياه إلا عالمًا ناصحا أمينا كما جاء في الخبر عن النبي ﷺ: "لا تقصص رؤياك إلا على عالم أو ناصح أوذى رأى من أهلك، فإنه سوف يقول خيرًا"، وليس معنى ذلك أن الرؤيا التي يقول عليها خيرًا كانت دلالة على المكروه والشر، فقد قيل لمالك: "أتعبر الرؤيا على الخير وهى عنده على الشر؛ لقول من قال:إأنها على ما أولت؟"، فقال: معاذ الله، والرؤيا من أجزاء النبوة، فيتلاعب بالنبوة؟ ولكن الخير الذى يرجى من العالم والناصح هو التأويل بالحق، أو يدعو له بالخير ودفع الشر، فيقول: "خيرًا لك وشرًا لعدوك" إذا جهل التأويل. قال المهلب: "وفيه أن للعالم أن يسكت عن تعبير بعض الرؤيا إذا خشى منها فتنة على الناس غمًا شاملاً، فأما إن كان الغم يخص واحدًا من الناس، واستفسر العابر عنه فلا بأس أن يخبر بالعبارة ليعد الصبر ويكون على أهبته من نزول الحادثة لئلا تفجأه فتفزعه""(٣).

٥- قال ابن أبي جمرة: "معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب، أنَّها تقع غالبًا على الوجه الذي لا يَحتاج إلى تعبير، فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل ذلك، فإنها قد يخفى تأويلها، فيعبّرها العابر، فلا تقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار. قال: والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان، أن المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبًا، كما في الحديث: "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا"(٤)، فيقِلّ أنيس المؤمن، ومُعِيْنه في ذلك الوقت، فيُكْرَم بالرؤيا الصادقة، قال: ويمكن أن يؤخذ من هذا سبب اختلاف الأحاديث في عدد أجزاء

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٦٩٩).

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢١٠).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٦٢/٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٠/١) ،كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين برقم : (٢٣٢) .

النبوة بالنسبة لرؤيا المؤمن، فيقال: كلما قَرُب الأمر، وكانت الرؤيا أصدق حُمل على أقلّ عدد وَرَدَ، وعكسه، وما بين ذلك. قال الحافظ: "وحاصل ما اجتمع من كلامهم في معنى قوله: "إذا اقترب الزمان لَمْ تكد رؤيا المؤمن تكذب" إذا كان المراد آخر الزمان ثلاثة أقوال: أحدها: أن العلم بأمور الديانة لَمّا يَذهبُ غالبه بذهاب غالب أهله، وتعذرت النبوة في هذه الأمة عُوّضُوا بالرؤيا الصادقة؛ ليجدَّد لهم ما قد دَرَسَ من العلم. والثاني: أن المؤمنين لَمّا يقلّ عددهم، ويغلب الكفر، والجهل، والفسق على الموجودين، يُؤْنَس المؤمن، ويعان بالرؤيا الصادقة؛ إكرامًا له، وتسليةً، وعلى هذين القولين لا يختصّ ذلك بزمان معيَّن، بل كلما قَرُب فراغ الدنيا، وأَخَذ أمر الدين في الاضمحلال تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق"(١).

٦- لا يُفهم من الحديث أن رؤيا الكافر إذا كانت صادقة أنَّها تكون من أجزاء النبوة، فإن أكثر الروايات جاءت مقيدة بالمسلم أو المؤمن. قال أبو العباس القرطبي: "والرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يُناسب حاله حال النبي ﷺ فأُكرِم بنوع مما أُكرم به الأنبياء، وهو الاطِّلاع على شيء من علم الغيب، كما قال النبي ﷺ: "إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة في النوم، يراها الرجل الصالح أو تُرى له" . فإن الكافر والكاذب والمخلِّط -وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات- لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة، وقد قدمنا أن الكاهن يُخبر بكلمة الحق وكذلك المنجم قد يحدِس فيصدق، لكن على الندور والقلّة"(٢).

وقال ابن حزم: "وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزءًا من النبوة، ولا من المبشرات، ولكن إنذارًا له ولغيره ووعظًا" (٣).

٧- قال القرطبي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قال: "وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشرى على الإطلاق وليس كذلك، فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقًا به ورحمة؛ ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأويلها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي رضي الله عنه وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته فكتبت إليه بذلك؛ ليستعد لذلك وقد تقدم في "يونس" في تفسيره قوله تعالى: فَلَوَلَا فَشَرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ (يونس: ٦٤) أنها الرؤيا الصالحة، وهذا وحديث البخاري مخرجه على الأغلب، والله أعلم"(٤) .

٨- الوعيد الشديد على الكذب في الرؤيا، قال رسول الله - ﷺ-: «مِن أفرى الفرى أن يُري عينيه ما لم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢٨/١).

(٢) طرح التثريب (٢٠٨/٨).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٤/٥).

(٤) تفسير القرطبي(١٢٧/٩)، وللاستزادة انظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين (ص: ١٤٧).

ترَ»(١). قال الطبري رحمه الله: "إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ إذ قد يكون شهادة في قتل، أو حد، أو أخذ مال؛ لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره. والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى: فَلَوَلَا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ (هود: ١٨) ،وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله، لحديث «الرؤيا جزء من النبوة» وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى"(٢) .

٩- لا يقال: إن الرؤيا من أجزاء النبوة، فلا ينبغي أن تهمل، وأيضا إن المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ وهو قد قال: "من رآني في النوم فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي"(٣)، فإخباره في النوم كإخباره في اليقظة. لأنا نقول:

١- إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي، بل جزء من أجزائه، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة.

٢- وأيضا فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح، وحصول الشروط مما ينظر فيه، فقد تتوفر، وقد لا تتوفر.

٣- وأيضا فهي منقسمة إلى الحلم، وهو من الشيطان، وإلى حديث النفس، وقد تكون سبب هيجان بعض أخلاط، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها وتترك غير الصالحة؟

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله - ﷺ- الرائي بالحكم فلا بد من النظر فيها أيضا، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالحكم بما استقر،(٤). قال النووي: "وكذا قال غيره: من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع ولا يخالف هذا قوله: «من رآني في المنام فقد رآني» فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة، وليست من أضغاث الأحلام وتلبس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي"(٥).

المطلب الثاني : السمت الحسن :

السَّمْتُ: "حسن النحو في المذهب، وإنه لحَسَنُ السَّمْت، أَي: حَسَنُ القصد والمذهب في دينه ودنْياه"(٦). وفي الصحاح : "والسَمْتُ: هيئة أهل الخير، يقال: ما أحسن سَمْتَه، أي هَدْيه"(٧). وفي

(١) صحيح البخاري (٤٣/٩) باب من كذب في حلمه ،برقم : (٧٠٤٣).

(٢) فتح الباري (٤٢٨/١٢).

(٣) أصل هذا الحديث مخرج في الصحيحين، ورواه بهذا اللفظ ابن ماجه في سننه، كتاب: تعبير الرؤيا (٢ / ١٢٨٤) برقم (٣٩٠٤)، وأحمد في مسنده (١٨٨/١٥)برقم: (٩٣٢٤).

(٤) مختصر كتاب الاعتصام (١/ ٦٧) .

(٥) شرح صحيح مسلم (١١٥/١).

(٦) تهذيب اللغة ٢٧٠/١٢، لسان العرب ٤٦/٢.

(٧) الصحاح للفارابي ٢٥٤/١.

الفائق: "السمت أخذ المنهج، ولزوم المحجة"(١) .
وقال الطيبي: "هو التزيي بزي الصالحين "(٢).
وفسر ابن القيم السمت الحسن: بالوقار وحسن الهيئة(٣).
وقال القاري في "المرقاة": "والأحسن ما قاله ابن حجر: إنه تحري طرق الخير، والتزيي بزي الصالحين، مع التنزه عن المعايب الظاهرة والباطنة"(٤).
فيتبين أن السمت له معنيان : معنىً باطن يتعلق بالمنهج والطريقة، ومعنىً ظاهر يتعلق بسِمةٍ و هيئةٍ تظهر على صاحبها من خشوع ووقار وزيٍّ حسن، وقد ذكر القاسم ابن سلام هذا المعنى، فقال : "السمت يكون في معنيين: أحدهما حسن الهيئة والمنظر في مذهب الدين، وليس من الجمال والزينة، ولكن يكون له هيئة أهل الخير ومنظرهم، وأما الوجه الآخر: فإن السمت: الطريق، يقال: الزم هذا السمت كلاهما له معنى جيد، يكون: أن يلزم طريقة أهل الإسلام، وأن يكون له هيئة أهل الإسلام"(٥).
وجاء في "نضرة النعيم" :" هو: حسن المظهر الخارجيّ للإنسان من طريقة الحديث والصّمت، والحركة والسّكون والدّخول والخروج والسّيرة العمليّة في النّاس بحيث يستطيع من يراه أو يسمعه أن ينسبه لأهل الخير والصّلاح والدّيانة والفلاح"(٦).
هذا وقد أثنى الله تبارك وتعالى على السمت الحسن وعلى أهله في كثير من الآيات، منها قوله تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ ومن معه من الصحابة بأنهم ممن حسُن سمتهم: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ...الآيةَ(الفتح: ٢٩). عن ابن عباس ومجاهد: السيما في الدنيا: وهو السمت الحسن(٧).
ولأن السمت الحسن من أجزاء النبوة، فهو صفة ظاهرة في الأنبياء، ومن ذلك ما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه يوسف بحسن السمت كما ورد عن ابن كثير في تفسيره لقوله تعالىﱡ غج غمفج فح فخ فم قح قمﱠ (يوسف: ٣٦)، " وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت، .. "(٨). فكان أثر السمت ظاهرا، وهكذا كان ﷺ يعتني بظاهره كما يعتني بباطنه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: "كَانَ النَّبِيُّ مَرْبُوعاً، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُ"(٩). وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنّه قال: "أتانا رسول الله

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١٩٨/٢.
(٢) تحفة الأحوذي ٣٧٨/٧.
(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٦٣/٢.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٠٢).
(٥) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٣٨٤/٣ . وانظر "غريب الحديث" لأبي عبيد الهروي٣/ ٣٨٤، وانظر: "غريب الحديث" لابن الجوزي ٤٩٥/١. وانظر: مرقاة المفاتيح ٣٠٢/١.
(٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥/ ١٥٨٨).
(٧)تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٧) . تفسير ابن كثير ٣٦١/٧ .
(٨) تفسير ابن كثير ٣٨٧/٤ .
(٩) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم (١٨١/٤).

ﷺفرأى رجلا شعثا قد تفرّق شعره فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكّن به شعره؟»، ورأى رجلا آخر وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه»"(١).

وعلى هذا دأب السلف من العناية بالسمت الظاهر، والهدي الباطن، قال الأعمش- رحمه الله تعالى-: «كانوا يتعلّمون من الفقيه كلّ شيء حتّى لباسه ونعليه»(٢)، وقال الميموني: "ما رأيت أحدا أنظف ثوبا، ولا أشد تعاهدا لنفسه؛ في شاربه، وشعر رأسه، وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا، وأشد بيانا من أحمد بن حنبل"(٣).

وكانوا يتعلمون السمت والأدب قبل العلم. قال الإمام مالك: "كانت أمي تُعَمِّمُني، وتقول لي: "اذهب إلى ربيعة، فتعلم من أدبه قبل علمه"، وقال النخعي: "كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله، ثم يأخذون عنه"(٤). ومن ذلك ما ذكره ابن مفلح قال: " كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء على خمسة آلاف، أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت"(٥).

فالسمت الحسن صفة من صفات أكمل الخلق الأنبياء عليهم السلام فمن اتصف بها فقد اقتدى بهم وشابههم في سيرتهم، روى البيهقي في "شعب الإيمان": "قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده"(٦).

قال السفاريني : "واعلم أن تعلم الآداب وحسن السمت والقصد والحياء والسيرة مطلوب شرعًا وعرفًا". وقال ابن حبان : " والواجب على العاقل أن يكون حسن السمت طويل الصمت فإن ذلك من أخلاق الأنبياء"(٧).

المطلب الثالث: الهدي الصالح :

من معاني الهدي في اللغة : (هَدَيَ): التقدم للإرشاد . ومنه قولهم: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أي تقدمته لأرشده(٨) . والسمت، والسيرة . يقال: مَا أشبَه هَدْيَه بَهْدِي فلَان، أَي سَمْتَه. ويُقَال: هديتُ هَدْيَ فلَان، إِذا سِرتَ سِيرته(٩)._والْهَدية: بِفَتْح الْهَاء وَسُكُون الدَّال: الطريقة، والمذهب، والسمت(١٠).

ومن معاني الهَدْيُ: السّكُون . قال ابن منظور : "وَمَا أَحسن هَدْيَه، أَي: سَمْتَه وَسُكُونَهُ "(١١).

وكان النبيﷺ يقول في خطبته: "خَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍﷺ"(١٢). أي: أحسن الطرق طريقته وسمته وسيرته(١).

---

(١)رواه أبو داود، برقم (٤٠٦٢) في كتاب: اللباس، باب غسل الثوب والختان، وصححه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" (ص: ٢). وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢) .

(٢) حسن السمت في الصمت (ص: ٩) .

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢).

(٤) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني ٣٦/١ .

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢) .

(٦)شعب الإيمان للبيهقي ٢٨٨/٣ ، حسن السمت في الصمت (ص: ١٠) .

(٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٥).

(٨) مقاييس اللغة للرازي ٤٢/٦.

(٩) تهذيب اللغة ٢٠١/٦.

(١٠) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٦٦/٢.

(١١) لسان العرب ٣٥٦/١٥.

(١٢) رواه مسلم في "صحيحه" كتاب الجمعة ،باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) ، والبخاري في "صحيحه" كتاب الاعتصام بالكتاب

الهدي في الاصطلاح : قال النووي : "لفظ الهدي له معنيان: أحدهما- بمعنى الدلالة والإرشاد، وهو الذي يضاف إلى الرسل، والقرآن، والعباد، وقال الله تعالى: فَلَوْلَا ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ "(الشورى: ٥٢)، ٹ ٹفَلَوْلَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ خَلَقْنَٰكُمْ(الإسراء:٩)، ومنه فَلَوْلَا لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ خَلَقْنَٰكُمْ (فصلت: ١٧) أي: بينا لهم الطريق.

الثاني- بمعنى: اللطف والتوفيق والعصمة والتأييد، وهو الذي تفرد الله به، ومنه قوله تعالى:فَلَوْلَا ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ خَلَقْنَٰكُمْ (القصص: ٥٦)"(٢) .

والمتأمل لمعنى الهدي الصالح يجد تقاربا بينه وبين معنى السمت، ولكن النبي ﷺ عطف أحدهما على الآخر مما يشعر بالتغاير، فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال" :إن الهدى الصالح و السمت الصالح جزء من سبعين جزءا من النبوة "(٣) .قال الغزي في "حسن التنبه": "إنَّ السمت عبارة عن الهيئة، والهدي عبارة عن الطريقة والمذهب، فهو أشمل من السمت وأعم منه". وقال: "وإنما كان حسن السمت في الحديثين السابقين جزءاً من أربعة وعشرين جزءاً من حيث انضمامُه إلى التؤدة والاقتصاد، وأما من حيث انفرادُه و انضيافُه إلى الهدي الصالح فهو جزء من سبعين جزءاً من النبوة"(٤).

وأصلح هدي وأحسنه: هدي أنبياء الله، فهم صفوة خلقه، ولاشك أن هديهم هو الهدي الذي يُتبع. قال تعالى: فَلَوْلَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا خَلَقْنَٰكُمْ (الأنعام: ٩٠)، وخير من اهتدي بهديه وسمته وكل أفعاله نبينا ﷺ، وقد بوب البخاري في كتاب الأدب، باب: الهدي الصالح، وذكر فيه حديث حذيفة رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺحتى نأخذ عنه، فقال: «مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺمِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»(٥). قال أبو عبيد: "الهدي والدّل: أحدهما قريب المعنى من الآخر، وهما: من السكينة، والوقار في الهيئة، والمنظر والشمائل وغير ذلك"(٦)، وقال ابن الوزير في بيان الفرق بينها: " عطف بعض هذه الأمور على البعض يشعر بالتغاير، والظاهر أن الدل: ما يكون في أفعاله؛ كالمشي والجلوس، والهدي: ما يكون في الطاعات؛ كما يظهر في قوله: "خير الهدي هدي محمد -ﷺ-"، وفي الحديث الآخر:

والسنة،باب الاقتداء بسنن رسول اللهﷺ (٩٢/٩) ، موقوفًا عن عبد الله بن مسعود بلفظ : "أحسن الهدي".

(١) فيض القدير ١٧١/٢ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥٤/٦

(٣) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٢٦٠٨)، و البخاري في "الأدب المفرد" (٧٩١). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩٣٣).

(٤) حسن التنبه لما ورد في التشبه (١٢٠/٥).

(٥) صحيح البخاري ،كتاب المناقب باب مناقب عبدالله بن مسعود (٢٨/٥) برقم : (٣٧٦٢).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٨١/٩ .

"هدينا مخالف لهدي أهل الأوثان"(١)"(٢). وقال ابن القيم : "فالهدى الطريقة التي عليها العبد، من أخلاقه وأقواله وأعماله، والدل ما يدل من ظاهره على باطنه، والسمت: هيأته، و وقاره، ورزانته"(٣).

وقد اعتنى السلف الصالح بالهدي النبوي ،ونقلوا في كتب السنة ومصنفات السير والشمائل هديه في كل شؤون حياته صغيرها وكبيرها؛ في هيئته، وتعامله، وتنعله، وأكله وشربه . وضرب الصحابة أروع الأمثلة في اتباع هدي النبيﷺ والاقتداء به، وتلقى عنهم ذلك التابعون، وقد علق الذهبي في "سير أعلام النبلاء" على حديث حذيفة رضي الله عنه السابق بما يبيت حرص السلف في تلقي السمت والهدي، وتعلمه، حتى يبقى هذا الجزء من النبوة ظاهرا في هذه الأمة، فقال: "فإذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى عبد الله، أشبه الناس به سمتًا وهديًا. وإذا رأيت إبراهيم النخعي، فلا يضرك أن لا ترى علقمة، أشبه الناس به سمتا وهديا"(٤).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٢٤ ـ ٢٥، الحديث (٢٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٥، كتاب الحج، باب الدفع من عرفة والمزدلفة: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٧٧، كتاب التفسير، باب هدينا مخالف لهديهم، وفي ٣/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر المسور بن مخرمة الزهري رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢)العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ٢٤١).

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١١٥).

(٤) (٤/٥٥).

"وقيل عن الإمام أحمد: " كان أحمد من أحيا الناس، وأكرمهم، وأحسنهم عشرةً وأدباً، كثير الإطراق، لا يُسمع منه إلا المذاكرة للحديث، وذكر الصالحين في وقارٍ وسُكونٍ، ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسان، بشَّ به، وأقبل عليه. وكان يتواضع للشيوخ شديداً، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يعمل لغيره من التواضع والتكريم والتبجيل، كان يحيى أكبر منه بسبع سنين". وقال الخلال ثنا المروذي قال: "قال لي أحمد ما كتبت حديثا عن النبي – ﷺ– إلا وقد عملت به حتى مر بي في الحديث أن النبي – ﷺ– «احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا» ، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت"(٥).

وقال عبيدة بن عثمان– رحمه الله تعالى–: «من نظر إلى الأوزاعيّ اكتفى به ممّا يرى عليه من أثر العبادة، كنت إذا رأيته قائما يصلّي كأنّما تنظر إلى جسد ليس فيه روح"(٦).

ويتبين مما سبق أن السمت الصالح والهدي الصالح يجمعان كمال الظاهر والباطن، قال ابن الجوزي : "الكمال عزيز، والكامل قليل الوجود. فأول أسباب الكمال: تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خلقًا، وصورة الباطن تسمى خلقًا.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢).

(٦) الجرح والتعديل(٢١٨/١).

ودليل كمال صورة البدن: حسن السمت، واستعمال الأدب. ودليل صورة الباطن: حسن الطبائع والأخلاق"(١).

وهذا المعنى هو الذي وصفه النخعي ب"استواء" فقال: " كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ، سألنا عن مطعمه ومشربه ومُدخله ومُخرجه، فإن كان على استواء أخذنا عنه، وإلا لم نأته ". أي: جمع كمال الظاهر ، والباطن.

وهو ما تواضع السلف على تسميته بالأدب، قال ابن حجر: "الأدب: استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل: الوقوف مع المستَحسَنَات، وقيل: بل هو تعظيمُ من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل: إنه مأخوذ من " المأدبة "، وهي الدعوة إلى الطعام، سُمِّي بذلك؛ لأنه يُدعَى إليه"(٢).فأدخلوا كتاب الأدب في مصنفاتهم " الجوامع "، ومنهم من أفرده بالتصنيف كما فعل البخاري في " الأدب المفرد "، والخطيب البغدادي في " الجامع "، وابن جماعة في " التذكرة "، وكما صنف ابن مفلح كتابه: " الآداب الشرعية، والمنح المرعية "، والسفاريني في " غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب "، وغيرهم. قال ابن القيم الجوزية: " تأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله، وخطابهم وسؤالهم، كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به؟

قال المسيح عليه السلام: ﭐﱡ ما مم نر نز نمنن ﱠ (المائدة: ١١٦) ،ولم يقل: لم أقله، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب، ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره، فقال: ﭐﱡ نى ني ىٰ ير ﱠ ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه، فقال: فَلَوْلَا نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ خَلَقْتَنَاكُمْ، ثم أثنى على ربه، ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها، فقال: ﭐﱡ ئح ئخ ئم ئه ﱠ ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمره ربه به –وهو محض التوحيد– ،.... ولهذا لم يكن كمال هذا الخلق إلا للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"(٣).

وقال شيخ الإسلام مبينا تلازم الظاهر والباطن: " الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك؛ وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً.

والأمر بمخالفة المغضوب عليهم والضالين في الهدي الظاهر لأمور منها: إن المشاركة في الظاهر تورث تناسبًا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٠١)

(٢) فتح الباري (١٠/٤٠٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٥٨) .

والأعمال، وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة "(١).

المطلب الرابع: التؤدة .

(التُّؤَدَةُ) ، أَي بضمّ التاءِ تُثَقَّلُ وتُخَفَّف، وبِغيرِ هَمْزٍ، تَقول (تُؤَدَة) وتُؤْدَة (وتُودَة): ومعنَى الكُلِّ: الرَّزَانَةُ والتَّأَنِّي والتَّمَهُّل(٢).

وبالمعنى الاصطلاحي: التؤدة هي التثبت وَترك الاستعجال(٣). وضد التؤدة العجلة: وهي من طبائع الإنسان الجبلية، ﭐﱡﭐ بي تر تز تمَّ(الإسراء:١١). وَقَالَ تَعَالَى: فَلَوۡلَا مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ (الأنبياء: ٣٧) .، قال ابن عباس: ضجِرًا لا صبر له على السراء والضراء(٤). وقيل: معنى" وكان الإنسان عجولا" أي: يؤثر العاجل وإن قل، على الآجل وإن جل(٥).

وجاء في السنة مدح التأني وذم العجلة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال:«التأني مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٦). لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب(٧).

قال ابن القيم: "فالعجلة من الأوصاف التي يحبها الشيطان من العبد، ويقوده إليها؛ لأنها تمنعه من التثبت، والوقار، والحلم، وتوجب وضع الشيء في غير محله، وتجلب الشرور، وتمنع الخيور، وهي متولدة بين خلقين مذمومين، التفريط، والاستعجال قبل الوقت"(٨).

وامتدح رسول اللهﷺ أشج عبد القيس لاتصافه بالأناة، فعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ للأشج أشج عبد القيس: " إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ "(٩).

وعن ابن حاتم قال: " الرافق لا يكاد يُسبق، كما أن العجل لا يكاد يَلحق، ..والعجل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم، والعجل تصحبه الندامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات"(١٠).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٩٢/١).

(٢) تاج العروس ٢٤٧/٩ . تهذيب اللغة ١٠٥/١٤ .

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي نصر ٤٣/١ .

(٤) تفسير البغوي ٨١/٥ .

(٥) تفسير القرطبي ٢٢٧/١٠ .

(٦) رواه البيهقي في "السنن الكبرى" ،كتاب آداب القاضي ،باب التثبت في الحكم (١٧٨/١٠) رقم: (٢٠٢٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣٠١١، الصحيحة: ١٧٩٥.

(٧) فيض القدير ١٤٨/٣ .

(٨) الروح لابن القيم ص:٢٥٨ .

(٩) رواه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان ،باب باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه،(٤٦/١)رقم: (٢٥) ،ورواه البخاري بلفظ آخر في الأدب المفرد،باب التؤدة في الأمور (٢٠٥/١)رقم: (٥٨٤) وصححه الألباني ،صحيح الأدب المفرد (٢١٨/١) رقم: (٢٢٧) .

(١٠) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص:٢١٦ .

لكن العجلة في أمور الآخرة ليست مذمومة ،بل هي مستحبة . قال الطيبي: "وذلك لأن الأمور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتدائها أنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها أو مذمومة فيتأخر عنها، بخلاف الأمور الأخروية"(١). وقال الأعمش: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺقال: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»(٢). وفرق بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات، وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم(٣)، وإن من حكمة الله أن خلق الإنسان عجولًا لتكون العجلة مطيته في طريق الآخرة، فإذا جمحت به إلى غير ذلك حَبَسَها بزمام العقل.

وفي حديث حاتم الأصم: "العجلة من الشيطان إلا في خمسة، فإنها من سنن رسول الله -ﷺ-: إطعام الطعام وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب"(٤).

لذا كان الحلم والتؤدة والأناة من أجزاء النبوة، ومن أخلاق الأنبياء.

المطلب الخامس: الاقتصاد

القَصْدُ: استقامة الطريقة(٥).و القَصْدُ: بين الإسراف والتقتير. يقال: فلانٌ مقتصِدٌ في النفقة. وقوله تعالى: فَلَوَلَا هِ هَ يج خَلَقَنَكُمْ(لقمان: ١٩) .واقصِدْ بذَرْعِكَ، أي ارْبَعْ على نفسك (٦).

و"الاقتصاد" الذي في الحديث :"السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ"(٧) : اختلف العلماء في تفسيره، فمنهم من جعله خاصا بالنفقة، وأمور المعيشة، كما قال ابن عبد البر: "قال أبو عمر: القصد ها هنا الاقتصاد في النفقة، وفي معناه جاء الحديث ما عال من اقتصد"(٨).

ومنهم من عمم في كل ما يحمله اللفظ من معنى، وهذا هو الأولى. فقالوا: "سلوك القصد، والقصد: الوسط بحيث لا إفراط ولا تفريط"(٩). وقال الخطابي: "سلوك القصد في الأمر والدخول فيه برفق وعلى سبيل يمكن الدوام عليه كما روي أنه قال خير الأعمال أدومها وإن قل"(١٠).

وقال التوربشتي: "الاقتصاد على ضربين: أحدهم: ما كان متوسطا بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود، وهذا الضرب أريد بقوله تعالى: "ومنهم مقتصد". والثاني: محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط كالجود فإنه بين الإسراف والبخل، والشجاعة فإنها بين التهور والجبن، وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣١٦٤/٨ .

(٢) رواه أبو داوود في سننه ،كتاب الأدب ، باب في الرفق (٢٥٥/٤) برقم: (٤٨١٠)، ورواه البيهقي في الزهد الكبير (٢٧٨/١) برقم: (٧١٤) . صححه الألباني في "الصحيحة" (٤٠٣/٤) رقم: (١٧٩٤).

(٣) تحفة الأحوذي ١٢٩/٦ .

(٤) أورده العراقي في "المغني عن حمل الأسفار" ١/ ٣٦٤ (١٣٧١)، والعجلوني في "كشف الخفاء" ١/ ٢٩٦.

(٥) العين ٥٤/٥ .

(٦) مختار الصحاح للرازي ص:٢٥٤ .

(٧) سبق تخريجه .

(٨) الاستذكار (٨/ ٤٥٢).

(٩) المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري ٢٤٦/٥.

(١٠) معالم السنن (٤/ ١٠٦).

المحمود على الإطلاق" (١) وفي التنوير: "(والاقتصاد) من القصد تقدم أنه التوسط بين الطرفين في جميع الأحوال وأكثر ما يراد به في الإنفاق"(٢).

قال الباجي: "القصد: يريد الاقتصاد في الأمر وترك الغلو والسرف فيه، وقال عيسى بن دينار: "يريد القصد في النفقة والكسوة وجميع شأنه"، .. وقوله: "والتؤدة": يريد الرفق والتأني. وقال: عيسى بن دينار حتى يحكم أموره، ثم يدخل فيها بطاعة الله عز وجل، وقوله: وحسن السمت يريد الطريقة والدين وأصل السمت الطريق وقوله جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة يريد أن هذه من أخلاق الأنبياء وصفاتهم التي طبعوا عليها وأمروا بها وجبلوا على التزامها ويعتقد أن هذه التجزئة على ما قاله عبد الله بن عباس ولا يدرى وجه ذلك – والله أعلم – وقال: عيسى بن دينار من كان على هذا وقل كلامه إلا بما يعنيه كان فيه جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة"(٣).

ومن ذلك الاقتصاد في السنة؛ واتباعها كما جاءت – بلا زيادة ولا نقصان – مثل الكلام: في (القرآن)، و (سائر الصفات)(٤).فهذا اقتصاد في باب الاعتقاد.

---

(١) تحفة الأحوذي تحفة الأحوذي (٦/ ١٢٧).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٥٤٨)

(٣) المنتقى شرح الموطإ (٧/ ٢٧٥)

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٠١/٣ .

وقال: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»(٥). ففي قوله ﷺ:"القصد القصد تبلغوا " حثّ على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير(٦). فهذا اقتصاد في باب العبادات.

وثـتثَفَوَلَا رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌخَلَقْنَٰكُمْ [الفرقان:٦٧] وهذا هو الاقتصاد في النفقة والمعيشة، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: " أسألك القصد في الفقر والغنى"(٧) . أي: الاقتصاد في المعيشة، أو التوسط بين الصبر والشكر، غير خارج عنهما بالجزع والطغيان في الفقر والغنى(٨).

وفي مواعظ لقمان لابنه : فَلَوَلَا هم ﻫ يج ؐ(لقمان: ١٩) .قال القرطبي : " أي توسط فيه. والقصد: ما بين الإسراع والبطء، أي لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار" (٩). وهكذا كان الأنبياء.

---

(٥) رواه البخاري في "صحيحه" كتاب الرقاق،باب القصد والمداومة على العمل (١٤٨/٤) برقم: (٦٤٦٣) .

(٦) منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع (ص: ١٢٨) .

(٧) المرجع السابق ٩١/١٤ .

(٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣٥٩/٨ .

(٩) تفسير الزمخشري =الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤٩٧/٣ .

وفي قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ (الأعراف: ٣١)، أرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافًا(١). فالشطر الأول من الآية في السمت الحسن، والثاني في الاقتصاد في المباحات . وكلاهما من أجزاء النبوة .

والعلاقة بين الصفات التي ذكر في الأحاديث أنها من أجزاء النبوة جلية، يجمعها أمر واحد فهي متعلقة بالآداب الظاهرة والباطنة التي يتصف بها ذوو الخُلق القويم والهدي المستقيم من النبيين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

الخاتمة

وبعد عرض ماتيسر جمعه حول موضوع "أجزاء النبوة"، كان من نتائجه مايلي:

١- أن معنى الجزء في اللغة: بعض الشيء، والنصيب منه .

٢- ومعنى النبوة في اللغة: الإعلام، والإنباء، والعلو والارتفاع . وفي الشرع: النبي هو الذي ينبأ بخبر السماء، ثم هو ينبيء بما أخبر به، ولا يكون ذلك إلا لرفيع الشأن، فانتظم فيها كلا المعنيين اللغويين.

٣- أن العلماء قد فسروا كون الرؤيا والصفات الأخرى من أجزاء النبوة بعدة أقوال من أهمها:

- أن هذه الصفات والأخلاق هي من شمائل الأنبياء وخصالهم.
- أن هذه الصفات مما دعت إليه الأنبياء .
- أن الرؤيا من أنواع الإخبار بالغيب .

٤- اجتهد العلماء في تفسير معنى الأعداد الواردة في أجزاء النبوة، والتفسير الأرجح والأقرب للصواب أن تلك الاجتهادات هي من باب الظن، ولا سبيل لمعرفة المعنى الحقيقي لهذه الأعداد، خصوصًا مع اختلاف الأعداد في روايات كلها صحيحة لا يتأتى الأخذ ببعضها دون بعض.

٥- أن الرؤيا جزء من النبوة في الإجمال، وصدقها بحسب صدق الرائي. وإخبار النبي بذلك المقصود به العناية بشأن الرؤيا و علو منزلتها.

٧- كون الرؤيا جزء من أجزاء النبوة لا يترتب عليه حكم شرعي ولا يجعلها مصدر من مصادر التشريع.

٨- تقييد الرؤيا التي تكون جزء من أجزاء النبوة بكونها رؤيا صالحة من مسلم صالح.

٩- أن السمت الحسن، والهدي الصالح من أجزاء النبوة، وقد جمعا كمال الظاهر والباطن.

١٠- التؤدة، وعدم العجلة مما اتصف به جميع الأنبياء،

١١- أن معنى الاقتصاد الذي أخبر النبي ﷺأنه من أجزاء النبوة، معناه: التوسط بين الإفراط والتفريط في الأقوال والأعمال عامة، ويدل بالخصوص على الاقتصاد في المعيشة وأنه من خلق الأنبياء.

---

(١) الطب النبوي لابن القيم ١٥٨/١ .

المصادر، والمراجع

- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي: عالم الكتب .
- الاعتصام؛ الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- أعلام الحديث ،الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد ،المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، جامعة أم القرى،الطبعة:الأولى.
- الاقتصاد في الاعتقاد،أبو حامد الغزالي ،وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف : شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض.
- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس؛ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري أبو العلا محمد عبد الرحمن، دار الكتب العلمية – بيروت، ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- تفسير القران العظيم الامام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء اسماعيل ابن كثير ،دار المعرفة بيروت – لبنان ١٩٩٢ م - ٤١٢ هـ .
- تفسير القرآن، السمعاني منصور بن محمد، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن أبي نصر، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، القرطبي أبوعمر يوسف بن عبد الله ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.
- تهذيب اللغة، الأزهري محمد بن أحمد، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين عمر بن علي الشافعي، دار الفلاح

للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي القاهري زين الدين محمد ،مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- جامع البيان في تأويل القرآن ؛ الطبري محمد ابن جرير ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ .
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- حسن التنبه لما ورد في التشبه ،نجم الدين الغزي ،دار النوادر، سوريا ،الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
- حسن السمت في الصمت ، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر،تحقيق: أحمد محمد سليمان، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، عام النشر: ٢٠١٠ م .
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ،الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- الرد على المنطقيين؛ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن ابن تيمية الحراني ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، ابن القيم الجوزية ،دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: ابن حبان أحمد البستي أبو حاتم، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
- الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع العتيبي، دار كنوز اشبيليا .
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون.
- سير أعلام النبلاء؛ الذهبي شمس الدين ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ .
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء ابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي ،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت – لبنان ،١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م .
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني محمد بن عبد الباقي ،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد،مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- شرح الشفا، الملا الهروي القاري ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، الطيبي شرف الدين

الحسين بن عبد الله ، (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- شرح مشكل الآثار، الطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، الطبعة: الأولى.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الصفدية؛ أبو العَباس أحمد ابن تيمية الحراني ، تحقيق : محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر ، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- صيد الخاطر، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، بعناية حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- الطب النبوي، ابن القيم الجوزية، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر، بيروت.
- طرح التثريب في شرح التقريب ،أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي ،دار إحياء التراث العربي.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، أبو بكر ابن العربي محمد بن عبد الله ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، العيني أبو محمد محمود الحنفي بدر الدين ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- العين، الفراهيدي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني محمد بن أحمد بن سالم ،دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد عبد العزيز الخالدي.
- غريب الحديث ،ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ،المحقق: الدكتور عبد

المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .
- غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان .
- الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري محمود بن عمرو بن أحمد، المحقق: علي محمد البجاوي –محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، : دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ه .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة : الخامسة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، تاريخ النشر : ١٤٢١ه .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي زين الدين محمد القاهري ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه .
- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس،القاضي أبو بكر بن العربي المالكي ، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم،: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م.
- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، عبدالرحمن السيوطي جلال الدين ،المحقق: خليل محي الدين الميس، : المكتب الإسلامي،١٤٠٥ – ١٩٨٥ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري أبو القاسم محمود ، : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ ه .
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، العجلوني إسماعيل بن محمد الجراحي، دار إحياء التراث العربي .
- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج ابن الجوزي ،تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض .
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ،محمد الطاهر بن عاشور ،المحقق: طه بن علي بوسريح التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ ه.
- الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري .
- لسان العرب، ابن منظور ، دار المعارف، القاهرة.
- مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد ، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ه/١٩٩٥م .
- مختار الصحاح؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة

العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- مختصر كتاب الاعتصام، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة :الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- المخصص ،ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل إبراهم جفال.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق : محمد حامد الفقي .
- المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين ،تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، : دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت .
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، القاري علي الهروي، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- المستدرك على الصحيحين؛ الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ،المكتبة العتيقة.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.
- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، الخطابي أبو سليمان محمد بن محمد البستي ، المطبعة العلمية – حلب،الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م .
- معجم الفروق اللغوية،العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله ،تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
- معجم مقاييس اللغة؛ القزويني الرازي أحمد بن فارس بن زكرياء ، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- المُعْلم بفوائد مسلم، المازري أبو عبد الله محمد بن علي التَّمِيمي، المحقق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي ، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
- المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري الحسين بن محمود بن الحسن، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، دار النوادر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية – بيروت.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي أبو العباس أحمد ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، سليمان بن سحمان الخثعمي ،تحقيق: عبد السلام بن برجس ،مكتبة الفرقان، الطبعة: الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،النووي أبو زكريا محيي الدين ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .
- النبوات، أبو العباس ابن تيمية الحراني ، المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
- النهاية في غريب الحديث والأثر؛ ابن الأثير المبارك بن محمد ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم .

(Parts of Prophethood – A Theological Study)

Sharifah Bint Muslih As-Sunaidi
Assoc. Professor in the Department of Aqeedah and Modern Schools of Thought
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University
College of Religious Foundations

Abstract. A part linguistically: is a portion and cut of something. And prophethood linguistically: is informing, conveying, and height. Scientifically, a prophet is someone who receives a message from the Heavens, then he conveys what he received, and this only happens to a person of very high regard, so it encompasses both linguistic meanings.

The Prophet – peace be upon him – has informed us that: a true dream is a part of prophethood, as well as other characteristics and attributes such as: patience, good character, and moderation. With regards to the true dream being a part of prophethood as well as these other attributes, the scholars have varied opinions, some of which are as follows:

1. That these attributes and character traits are from the attributes of prophets.
2. That the prophets have called to these attributes.
3. That dreams are considered information of the unseen.

The scholars have tried to explain the numbers regarding the parts of prophethood, but the preferred opinion is that these explanations are all speculative, and that there is no way to find out the true meaning of these numbers, especially since the numbers vary from narration to narration with all the narrations being authentic in a way that cannot give preference to a narration over another.

As to the Prophet – peace be upon him – informing us that dreams are a part of prophethood, that indicates the seriousness of dreams, but it does not imply a *Shariah* ruling, nor does it signify that a dream is a source of the *Shariah*. The condition of the dream that is considered a part of prophethood is that it has to be a good dream from a pious Muslim.

With regards to good character and piety that are considered parts of prophethood, they encompass outer and inner perfection. *Ta'udah* or patience: is not being hasty, and this was a characteristic of all the prophets. Iqtisad, which was mentioned by the Prophet – peace be upon him – as being a part of prophethood, means: moderation between general excessiveness and holding back in sayings and in actions. Specifically it points to economical living and that is considered a trait of the prophets.

Key words: Parts of prophethood – dreams – patience – good character – economical living – characteristics of prophets.